الأحد: 2024/11/10
الفوج 1 التوقيت: 16:30 – 18:00
الفوج 2 التوقيت: 14:50 – 16:20
الفوج 6 التوقيت: 13:10 – 14:40
الاثنين: 2024/11/11
الفوج 3 التوقيت: 13:10 – 14:40
الفوج 4 التوقيت: 14:50 – 16:20

الدرس رقم07:

الاستشراق والأدب العربي المعاصر

كان اهتمام المستشرقين بالأدب العربي القديم خاصة (تاريخ الأدب، والشعر الجاهلي) واضحا إضافة إلى اللغة العربية، وقال سمايلوفيتش في هذا الباب فالأدب بالنسبة للعرب "يعد ديوانها، ويتأمل تاريخها، ويبرز عقليتها، ويمثل انفتاحها، ويدفع بقدمها إلى الأمام...وظل الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الاستشراق محاولاً إلى معرفة العرب واتجاههم"، ويعود اهتمام الغربيين بالتراث العربي القديم، كونه تعبيرا حقيقياً عن هويتنا الحضارية. ولذلك اعترف أكثر من مستشرق بتأثر الغرب بالأدب العربي القديم، وكان لنا حديث مستفيض في هذا الباب في الدروس السابقة، لكن ما يهنا الآن في هذا الدرس هو الأدب العربي المعاصر في عيون المستشرقيين، والذي تبين معنا بأن الدراسات الاستشراقية حول الأدب العربي المعاصر كانت قليلة مقارنة بسابقتها في الأدب العربي القديم.

ولعل من الأسباب التي حالت دون الاهتمام بالأدب العربي المعاصر

-حداثة البحوث في هذا المجال.

-أن الأبحاث في الاستشراق لم تحمل بعد فكرياً أو منهجياً أو فلسفيا.

-اهتمام الغرب كان يرتكز على النواحي العقيدية والدينية والسياسية.

-عدم وجود هيئة تتبع بحوث الاستشراق التي تتعلق بالاتجاهات المعاصرة في العالم العربي الإسلامي.

-لم يستطع الأدب العربي المعاصر بعد أن يفرض وجوده على هيئات العلم في العالم.

- مراكز الاستشراق لا تشجع معرفة طالبها بإنتاج الأدب العربي المعاصر، حيث إنها تفرض عليه البحث في الأدب القديم.

وملخص كل هذه الأسباب هو تحيز الغرب ضد الأدب العربي يظهر فيما كتبه ريجيس بلاشير زاعماً أن الأدب العربي المعاصر يفتقد عموما إلى الإبداع والعبقرية وأن "الفعالية الأدبية، في أدوار عدة، بل في الأدوار الهامة تظل جماعية بمعزل عن كل خلق فردي حقاً، وإذا ما اتفق أن وجدنا خلافاً لذلك

فإننا لا نلبث إذا أمعنا النظر أن ندرك أن الظاهرة حركة تجديد أوجدتها فئة أو جماعة أدبية أو هي صفة خاصة إقليمية... وعلى الجملة فالأدب العربي–وقد نلحق به آداب الشرق الأدنى–لم يعرف إلاّ في ومضات خاطفة، تلك الحاجة المرهقة الخصبة للتجديد، والتميز، والتعارض.

ولكن هذا الرأي الذي قال به بلاشير إنما ينطلق من النظرة الاستعلائية التي تطبع الغرب عموماً فلا يرون عبقرية إلاّ عبقريتهم أو عبقرية من كان مقلداً لهم. وقد كان للمستشرقين الذين درّسوا في الجامعات المصرية وكذلك الطلاب الذين ابتعثوا إلى الغرب لدراسة الأدب العربي على أيدي المستشرقين دورا في تأثر البعض في إفساد "الذائقة الأدبية" حسب رأي بعض الباحثين أمثال الأستاذ محمد شاكر الذي أقر في مؤلفاته بذلك، حين رد مثلا على طه حسن في قضية الشعر الجاهلي ونظرية الانتحال بكتاب عنوانه "المتنبي".

ويؤكد عاصم حمدان من خلال الاهتمام بالأدب في عصور الازدهار وقلة الاهتمام بالعصر الحاضر [نسبياً] "أن نقطة الضعف التي يجدها الغرب – اليوم – في أدبنا، هي ترديدنا لبعض نظرياته في الأدب بعد لفظه لها بعشرات السنين ثم هو ترديد لا استيعاب ولا تمثل فيه.." ويضيف حمدان بأن بعض المستشرقين" قدموا النصيحة للأدباء العرب بأن يكون شعرهم عربياً خالصاً " لأنه إنما يأخذ مكانته بين الآداب العالمية بتفرده وأصالته.

وتعد الترجمة أيضا من الوسائل المهمة في نقل الآداب العربية إلى الغرب والتعريف بها، وهي مسألة لا تخلو من الخطورة، لأن المسؤولية فيها تقع على عاتق المستشرقين في تعريف قرائهم بالأدب العربي الحديث، ولكنهم «كانوا ولا يزالون يوجهون جل اهتمامهم العلمي إلى غير الأدب من أوجه الحياة المعاصرة، ولهذا لم يترجم إلا عدد ضئيل من الأعمال الأدبية الحديثة. .. »، كما أن ما ترجموه أيضا لم يسوق تجاريا، ولذلك لم يجد « الاستجابة المشجعة لدى النقاد أو الأدباء غير العرب إلا في حالات نادرة.»

ليت الأمر توقف عند قلة الاهتمام، لأن هناك من الآراء في اللغة العربية وآدابها ما يدهش المرء أن يصدر في دراسات تزعم لنفسها الموضوعية والنزاهة، فيرى بعض الغربيين أن اللغة العربية نفسها تقف "عقبة" وأنها طريق مسدود، وأنها زخرفة غير واضحة أو " منمقة وصعبة كأداة على الترجمة إلى لغة كاللغة الإنجليزية، ويضيفون إن اللغة العربية تمثل ستارا حديديا لغويا أبعدت الغرب عن الثقافة العربية، لهذا وجه المستشرقون اهتمامهم صوب العرب ممن يكتبون أدبا في اللغات الأوربية.

ومع ذلك ظهرت بعض الاهتمامات من المستشرقين حول الأدب العربي المعاصر، إذا كان للعرب شغفا بلغتهم وعلومها، فقد كان للاستشراق ولع بالغ بآدابهم وفنونها، ويمكن إرجاع هذا الاهتمام إلى أسباب عديدة من أهمها:

- صلة هذا الأدب بالإسلام وكتابة القرآن الكريم.

- أهميته لدراسة الشخصية العربية وفهمها.

- أثره في الآداب الأوروبية.

- اهتمام النزعة الرومنسية والإنسانية بالأدب العربي.

فقد ظهرت مراكز البحوث الغربية والأقسام العلمية التى تهتم بالأدب الحديث وازدادت معها الندوات والمؤثرات التي تعقد في الجامعات الغربية ومراكز البحوث، وفيما يأتي بعض الندوات والمؤتمرات التي تؤكد ذلك:

1- مؤتمر الأصالة والحداثة في اللغة والأدب العربي عقد في جامعة إكستر - قسم الدراسات الإسلامية أسسه محمد عبد الحي شعبان والمؤتمر عقد سنة 1994 م بمناسبة مرور عامين على وفاته وكان من محاوره الشعر التقليدي الحديث والشعر العامي والتأثير الغربي في الأدب العربي، وشارك فيه ثلاثون باحثا من أنحاء العالم.

2- ندوة عن الأدب العربي تحت عنوان "فهم العالم العربي من خلال الأدب، وقد أقيمت الندوة في مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون بمدينة واشنطن، وساهم في تمويل الندوة الوقف القومي للإنسانيات وعقدت الندوة في 04 أفريل 1995م، وشارك في الندوة كل من: صباح غندور بمداخلة تحمل عنوان الكاتبات العربيات وأصواتهن الأنثوية، وأميرة الزين بمداخلة تحمل عنوان الأدب الشعبي الإسلامي (ألف ليلة وليلة)، وعنا بشناق وعنوان مداخلتها الأدب الشعبي العربي (الفولكلور العربي).

3- المؤتمر الدولي الرابع للآداب المقارنة عقد بالقاهرة في ديسمبر 1996 م، وشاركت فيه منى ميخائيل من قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة نيويورك.

كما اهتمت عدة مؤسسات في الغرب بحفظ الرسائل الجامعية ونشر ملخصاتها وبيع نسخ منها للراغبين، وقد اخترنا نماذج من هذه الرسائل الي تهتم بالأدب العربي الحديث وبعضها أعده طلاب من العالم الإسلامي فأصبحت بالتالي علامة مسجلة باسم مراكز بحوث الدراسات الاستشراقية ومن هذه الرسائل نذكر مثالا لا حصرا:

1- الموضوع والشكل في أعمال توفيق الحكيم أعدها ستاركي سنة 1970 م في جامعة أكسفورد.

2- يحي حقي مثقف مصري بين المثال والواقع أعدها كوك في جامعة أكسفورد سنة 1970 م.

3- دراسة نقدية لموضوعات شعر معروف الرصافي قدمها الطالب الدباغ سنة1977 م في جامعة غلاسغو.

4- ظهور وتطور القصة القصيرة المصرية 1881 م / 1970 م، أعدها عبد الدايم في جامعة لندن سنة 1979 م.

5- المشكلات الفنية في شعر عبد الوهاب البياتي (دراسة مقارنة)، أعدها العلاق سنة 1983 م في جامعة إكستر.

6- نجمة والجزائر في كتابات كاتب ياسين (نحو هوية قومية)، أعدها صالحي في جامعة إكستر سنة 1991 م.

أما بالنسبة للقضايا التي اهتم بها المستشرقون في الأدب العربي المعاصر هي:

- **الاستشراق ولغة الكتابة:**

ومن الجوانب التي اهتم بها أغلب المستشرقين في الأدب العربي الحديث، اهتمامهم بالأدباء الذين يكتبون باللغات الأوربية، وهذا ما حصل عندنا في الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي، وهؤلاء يسميهم عبد الله الركيبي (المرضي عنهم)، فهم الذين يعيشون عصرهم ويستحقون التكريم والتنويه بإنتاجهم، نلمس هذا في الضجة التي أثاروها حول ما كتبه الطاهر بن جلون الذي صرح بأن الفرنسية هي التي تعبر عنه وعن إحساسه فانهالت عليه الجوائز الأدبية، ومثل الجزائري "عبّه" الذي ذهب به حب الفرنسية والدفاع عنها إلى حد بعيد إذ رصد جائزة من ماله الخاص لمن يكتب عملاً أدبياً متميزاً بهذه اللغة..".

وفي المقابل كان هناك عداء وإهمال لمن يتحول عن الكتابة من الفرنسية إلى العربية، أو إذا خالف أفكارهم، حيث يذكر عبد الله الركيبي من هؤلاء مالك حداد الذي لا يكاد يذكر اسمه عندنا إلا نادرا، أما في الضفة الأخرى فلا يذكر اسمه إطلاقا بسبب دفاعه عن العربية ورفضه الكتابة بالفرنسية بعد الاستقلال، في حين أن غيره يشيدون به محليا وفرنسيا مثل كاتب ياسين ومولود معمري وغيرهم، ويستشهد الركيبي بما كتبه بوجدرة بأن الفرنسيين يشجعون الكتابة بالفرنسية لأن هؤلاء يكتبون نصوصا سياسية تروق الفرنسيين وتروج أفكارهم وبعضهم الآخر يكتب القصة بطريقة فنية جميلة تحمل أفكارا غربية وموجهة أساسا للاستهلاك الغربي".

– الاستشراق والدعوة إلى العامية:

من القضايا التي اهتم بها الاستشراق استخدام الكتاب العرب للهجة العامية في الابداع الأدبي، واحتفاء باستخدام العامية والتشجيع عليها، وقد أولوا هذه القضية اهتماما كبيرا، فقد ناقش أحمد سمايلوفيتش هذه القضية وأكد على قضية تعد من أخطر الهجمات التي تعرضت لها اللغة العربية، ونقل عن عثمان أمين قوله "إن حملات التغريب شنها النفوذ الغربي وأعوانه في أسيا وأفريقيا مصوبا هجماته إلى التراث العربي الاسلامي بوجه عام وإلى اللغة العربية بوجه خاص ... وقد أصبح هذا الأمر واقعا في الجامعات الغربية فمن العجيب أن يكتب أحمد نظمي بأن الجامعات الغربية تنوي إنشاء كراس للهجات العامية، فهي قد فعلت ذلك بالفعل، وقد أنشأت معاهد الخدمة الخارجية في بعض البلاد العربية لتدريس موظفيها اللهجات المحلية ومنها معهد الخدمة الخارجية في تونس الذي يقدم دورات في اللغة المحكية التونسية، وقد درس في هذا المعهد نائب رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة بيركلي لورانس ميشيلاك فهو لا يستطيع فهم الفصحى لكنه يفهم العامية التونسية أفضل مما يفهمها عربي من الجزيرة العربية.

وتأكيدا لهذا الاهتمام المبالغ فيه بدأت الجامعات في نشر كتب نحو متخصصة في اللهجات وقواميس خاصة بكل لهجة من العربية إلى الانجليزية والعكس، ومن ذلك ما نشرته جامعة جورج تاون حديثا ومنها هذه الكتب:

1. مرجع قواعد اللغة العربية السورية تأليف **مارك كول**، وجاء في تعريف الكتاب أنه يصلح للطلاب المبتدئين في اللغة ومرشدا في هذه اللهجة للمتخصصين في اللغة العربية وفي اللسانيات.

2. مرجع موجز القواعد العربية المغربية تأليف **ريتشارد هارل** وهذا مرجع عملي للطالب الذي حصل على مبادئ العربية المغربية.

3– قاموس العربية العراقية (عربي – إنجليزي) تحرير وو دهيد وواين دين وآخر (إنجليزي – عربي) تحرير كلارين وكارل ستوواسر ورونالد وولف.

ويقول أحمد نظمي محمد في هذا الشأن: "بعض الجامعات الغربية باشرت في تدريس اللهجات في أقسامها واعتمدت لذلك الحرف اللاتين كما فعلت الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت وفي الوقت الحالي أدخلت هذه الطريقة في كثير من معاهد الاستشراق الأوربية إن لم يكن أغلبها، بل أصبح تدريس اللهجات العربية يستحوذ على ساعات مساوية للساعات المخصصة التدريس العربية الكلاسيكية كما تدعى لديهم ولا سيما في معاهد أوربا الغربية".

وهذا أدى إلى ظهور صنفين من الكتاب صنف استعمل اللغة العربية الفصحى وصنف استعمل العاميات في كتاباتهم؛ وهذا ما أوقع المبدع العربي في أزمة فإذا هو اتخذ اللغة العربية الفصحى سبيلا لكتابة إبداعه ربطه بثقافته الكلاسيكية وعزله عن الناس وإذا قرر اعتماد العامية فهو يربط الإبداع بالناس ويعزله عن ثقافته الأصيلة. ويفترض أن اللغة المتوسطة التي تدمج بين الإثنين ستكون في المستقبل الحل لهذا المأزق.

- **الاستشراق وقضية القيم والأخلاق:**

وهو ما يظهر في أعمال بعض الروائيين العرب، ولعل من المعلوم أسباب الاهتمام بنجيب محفوظ فإن اللجنة التي منحت له الجائزة ذكرت في المبررات تأثره بالفكر الغربي وبخاصة ماركس وفرويد وداروين ويقول في ذلك أحمد أبو زيد "لا غرابة أيضاً أن يهتم بها [أولاد حارتنا] دارسو الأدب العربي من الأجانب والمستشرقين اهتماماً خاصاً ويفردون لها جانباً بارزاً من دراساتهم عن نجيب محفوظ . فقد وجدوا فيه ضالتهم وأدركوا أنها قصة تحطم كل ما هو مقدس من الأديان والرسل والكتب والغيبيات"، وأدى هذا التأثر إلى أن امتلأت قصص نجيب محفوظ ورواياته بالدعوة إلى القيم الهابطة والفساد ومن ذلك الدعوة إلى اللهو والطرب، والسخرية من الحياء وزعمه أن الحياء موضة قديمة، واحتفائه بالمومسات والتعدي الصارخ على الدين.

فترجم لنجيب محفوظ في اللغة الإنجليزية وفي الولايات المتحدة العديد من أعماله، وأول ترجمة كانت في عام 1960م في جامعة إنديانا من قبل ترفير لوجاس، وترجمت روايته زقاق المدق في بيروت عام 1963م من قبل المترجم نفسه. كما قام لوجاسك بتدريس بعض المواد الجامعية عن هذه الرواية وعرّف في دروسه بنجيب محفوظ وكتب دراسة عن الثلاثية نشرت عام 1963م وهو العام الذي بدأ فيه تدريسه واستمر حتى عام 1966م.

واستمر هذا الاهتمام بنجيب محفوظ ومن ذلك مثلاً أن قدمت محاضرة في النشاطات العلمية لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد بعنوان "الزعبلاوي: الجانب الخفي في ثلاثية القاهرة لنجيب محفوظ وقدمت المحاضرة نادين جورديمار وذلك في 2نوفمبر 1994م.

وبمناسبة الأفكار التي تروق الفرنسيين فلا بد من ذكر الجائزة التي تقدمها أكاديمية الكونكور الفرنسية لما يسمى "أدب الوقاحة". ففي عام 1412هـ (1992م) قدمت هذه الهيئة جائزتين لكاتبين مغربيين، ويطلق على الجائزة جائزة أطلس. وهذان الفائزان هما سامي أمالي وبريل سعيد، وذكر الخبر أن السفارة الفرنسية في الرباط أقامت حفلاً لتكريم هذين الكاتبين ودعت الدول العربية لتكريمهما، وقد طالب أحدهما

أبناء وطنه أن يهبوا لتكريمه مثلما فعل الفرنسيون. أما ما كتباه فلا يخرج عن الدعوة إلى الفسوق والفجور والعربدة والدعارة والدياثة.

وفي هذا الإطار تهتم الدوائر الاستشراقية بكتّاب من أمثال محمد شكري ففي سلسلة محاضرات ينظمها معهد الفنون المعاصرة بعنوان (أخبار من الشرق) ألقى محمد شكرى محاضرة في 22 سبتمبر 1992م. ومحمد شكري أصبح مهماً في الأدب العربي عند الباحثين الغربيين وعند بعض الحداثيين. ومن أهميته عند الغربيين أن النشرة التي أعلنت هذا النشاط ذكرت أنه من أبرز الشخصيات الأدبية في المغرب. وجاء في تعريفه أيضاً أنه صاحب كتاب الخبز الحافي الذي يحكي حياته في شوارع طنجة، وقد أعاد شكري كتابة مذكراته التي ترجمت إلى ثلاث عشرة لغة، ولكنها ممنوعة في معظم البلاد العربية. ويشير الإعلان إلى أن شكري سوف ينشر الجزء الثاني من مذكراته قريباً. كما أن طالبة اسمها ساندرا ميلبورن تدرس في جامعة برنستون تعد رسالة دكتوراه بعنوان الأدب المغربي الحديث: محمد شكري عام 1994–1995م.

وقد صدر حديثاً كتاباً لعاصم حمدان بعنوان دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والغربي تناول فيه قضية محمد شكري واهتمام الإعلام العربي وبعض الدوائر الاستشراقية به رغم أنه لا ينطبق عليه وصف أدب بأي معايير، وهنا يمكننا التأكيد أن الاستشراق قد أدى دوره في ترويج أسماء وأفكار ونماذج من الكتابات التي تجاوزت الأخلاق القيم.

– الاستشراق والاهتمام بالشعر الحر أو المرسل:

ومن الجوانب التي يهتم بها الاستشراق المعاصر ما يطلق عليه الشعر الحر أو المرسل أو المنثور ويقول في ذلك صالح طعمة "لوحظ في السنوات الأخيرة إقبال متزايد على ترجمة ما نسميه بـ (الشعر الحر) بفضل الحضور أو الإسهام العربي في الغرب فتعددت الأعمال المترجمة لأمثال أدونيس (علي أحمد سعيد) وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ومحمود درويش وصلاح عبد الصبور وقد لاحظ هذا الأمر أحمد سمايلوفيتش منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، حيث ذكر عدداً من الدراسات الاستشراقية حول الشعر العربي المعاصر واستنتج قائلاً: "وهذا مما يدل على اهتمام الاستشراق البالغ بهذين الاتجاهين الرئيسين (الشعر المرسل والشعر الحر) في الشعر العربي المعاصر وتتبع الاستشراق المستمر له".

وهذا الاهتمام هو الذي قاد إلى تقديم أدونيس في المحافل الدولية وترجمة شعره حتى أنّ جهاد فاضل كتب يتعجب من كثرة ترجمات أدونيس إلى اللغات الأوروبية في حين أنه بحاجة إلى أن يترجم إلى اللغة العربية ليفهمه العرب أولاً "فالحاجة ماسة أولاً إلى ترجمة شعره إلى اللغة العربية قبل ترجمته إلى اللغات الأجنبية لاستعصائه حتى على النخبة المثقفة كأنه يتقصد وهو يكتب شعره ألاّ يفهمه أحد من القراء.

"ويضيف بالنسبة لكثرة ترجمات أدونيس قائلاً "إذ لا ينقضي شهر من الشهور إلاّ ويصدر 'إعلان' أو خبر في الصفحات الثقافية يحمل إلى القراء العرب بشرى ترجمة ديوانه هذا أو ذاك إلى اللغة الفلانية ...كأن أدونيس يقول لهؤلاء إذا كنتم رفضتموني، فقد قبلني العالم، انظروا إلى تهافت العالم على قراءة شعري".

وقد عرّفت باحثة أمريكية مهتمة بالأدب العربي أدونيس بأنه "الشاعر المشهور عالمياً والذي يعيش بين بيروت وباريس". ولم يقتصر الاهتمام بأدونيس على الغربيين فإن من أبناء جلدتنا المتحدثين بلساننا قد جعلوا كتاب أدونيس –كما يرى الدكتور عاصم حمدان– الثابت والمتحول 'دستوراً لهم' لا ينقل من ثقافة الغرب وفلسفته سوى النفايات الفكرية التي تخلص منها أهلها وذووها منذ زمن، ثم يأتي أدونيس ويلبسها ثوباً جديداً من فكره الضال ليقوم بتسويقها في مجتمعاتنا، وما أكثر ذوي العقول المنحرفة الذين يجدون في أقواله بضاعة يتباهون بها بين قومهم، وما أفسدها من بضاعة".

وبلغ من اهتمامهم بأدونيس أنه من المرشحين لنيل جائزة نوبل، ومنذ نيل نجيب محفوظ والصحافة الحداثية التي تتلقى الوحي من الغرب تنتظر أن ينالها أدونيس، أما من الغربيين الذين يرون أن أدونيس جدير بالجائزة روجر ألن فيما ذكره في مقالة له بعنوان 'الأدب العربي وجائزة نوبل'.

ولعل أدونيس أدرك أن تأييد السلام والتطبيع مع إسرائيل سيأتي له بالجائزة فقد أعلن قبوله للتطبيع مع إسرائيل في المؤتمر الذي أقامته اليونسكو في غرناطة تحت عنوان (ما بعد السلام) وكان من جراء هذه الدعوة أن طرد من اتحاد الكتاب العرب.

ومن الأسماء الحداثية التي تهتم بها المراكز الاستشراقية محمود درويش ففي المؤتمر الذي عقد في بودابست حول الأدب العربي كان من بين المحاور محور 'تجديد لغة الشعر الحديث' والحديث عن الارستقراطية اللغوية للشعر الرسمي الكلاسيكي. وكان من بين المتحدثين ساسون سوميخ أستاذ الأدب العربي ورئيس معهد اللغات بجامعة تل أبيب. وقد أشار في محاضرته إلى أن الشعر قد أصبح منفتحاً بسبب التأثيرات اللغوية الشعبية والعامية وقدم من الأمثلة على ذلك محمود دوريش وصلاح عبد الصبور ومظفر النواب.

ومحمود درويش يقحم في شعره الرموز النصرانية حتى إنها أزعجت كاتبا يومياً في إحدى الصحف الصادرة في لندن فكتب يتهم درويش وأمثاله بالتظاهر بخلفية نصرانية وأن درويش كان عينة لهذه الفئة، ومن العبارات التي وردت في شعره 'مطر فوق برج الكنيسة' وهللويا !هللويا، وأيقونات الكنائس، وخاتم العذراء وغيرها. ويقول خالد قشطيني "هذه التفاتة مقبولة لو أنها كانت ترمي إلى تجسيم التلاحم بين

المسيحيين والمسلمين في عالمنا العربي وإظهار أن التراث المسيحي هو أيضاً جزء من تراثنا... بيد أن الغرض ليس كما يبدو لي، الغرض هو الظهور بالتفرنج والاستغراب والعصرنة، وهذا شيء مقيت".

- الرواية العربية والاستشراق:

يطرح المستشرقون قضية أخرى تتصل بوضع النثر في الثقافة العربية، ذلك لأن الشعر ديوان العرب وهو يأخذ قيمة قصوى يتراجع أمامها النثر فيمكن أن ندهش عندما نرى أحد الأمراء في الخلافة العباسية (الشريف الرضي) في بغداد، يضع في عداد العلوم مع التوحيد والفقه وعلم اللغة وعلى الدرجة نفسها معها الشعر، في حين يتقهقر النثر ليستخدم خارج حقل الأدب، في كتب العلوم الدينية، ومع ذلك النثر عرف أمجاده في القرن الرابع للهجرة مع كتابات الجاحظ وغيره.

يرى المستشرقون أن الرواية العربية ارتبطت كثيرا بالرواية الواقعية الفرنسية التي تعرف عليها الكتاب من خلال البعثات إلى فرنسا ومن خلال الترجمات، وليس هناك ما يدهش حين نرى الرواية والمجتمع يتبادلان الاقتراحات والنماذج المتطابقة. وليس مصادقة أيضا أن تلعب مدرسة الواقعية الفرنسية دورا هاما في تكوين الرواية الحديثة، لدرجة استلهام عناوين بعض الروايات منها، لأن الواقعية يبدو أنها تكاد تسود اليوم وحدها، ويتحدث المستشرقون هنا عن الواقعية الاجتماعية التي وجد فيها المبدعون العرب حاجتهم لمناقشة قضايا مجتمعاتهم، ومنهم: نجيب محفوظ في كثير من رواياته، منها: بداية ونهاية، السمان والخريف، وكثير من الرواية التي تحدثت عن القومية العربية وواقع الشعوب

ويرى المستشرقون أن بعض الشخصيات الروائية متكررة وشديدة التوغل في النموذج الروائي العربي، منها: شخصية الفلاح والطالب، فرواية (الأرض) للشرقاوي الصادرة عام 1954 مثالا عبرت عن آلام الفلاح ومجد الإنسان ووحدته وشجاعته وظلت هذه الرواية في اعتبار "**أندريه ميغيل**" مثالا لتصوير نضال الفلاح وارتباطه بالأرض في كل العالم العربي، فظهر بعد الشرقاوي كتاب كثر ينتصرون للفلاح وحركات شعوبهم نحو العدالة منهم "عبد الملك النور" و"فؤاد التركلي" و"شاكر يزبك. وإذا كانت هذه الشخصيات متكررة كثيرا، فهناك شخصيات أخرى مضادة وفاعلة أيضا منها التجار وملاك الأراضي.

وترتبط الرواية العربية في تصور المستشرقين بالمجتمع وحركاته وانطلاقا من ذلك فإن الوظائف الاجتماعية التي تسود داخل المجتمع تؤثر بالضرورة في وظائف أبطال الروايات وشخصياتها، فيقول "أندريه ميغيل" إن دراسة نماذج الشخصية الروائية بالقياس إلى الاختبارات الأساسية للمجتمع العربي اليوم، هي شأنها في ذلك شأن دراسة أنماط الوظائف... فما دام هذا المجتمع يتحدد من خلال ارتباطه داخل كفاح غايته التقدم والعدل فإن أبطال الرواية يمكن أن يصنفوا إلى ثوريين ورجعيين، والطبقة الأخيرة تصنف إلى

رجعيين بوعي أو بدون وعي"، ويمكننا على سبيل المثال أن نقارن بين شخصيتي الطالب والتاجر أو شخصيتي الفلاح والإقطاعي لنعلم الإسقاط الذي تؤديه الرواية العربية على الصراع الموجود داخل المجتمعات العربية، ونورد فيما يلي السمات التي استنتجها المستشرقون:

1 – مسألة الأنموذج في الرواية العربية الواقعية؛ حيث لا يصور البطل منعزلا، بل على العكس فإن الذي يسوغ مواقفه هو الإحالة دائما إلى سياق اجتماعي، وهو يتحمل في قراراته وأحداثه ثقل ما يحيط به في البيت أو في المدرسة أو في الأمة.

2 – ومن هنا، فإن من النادر ظهور فرد يحمل شخصية منفردة "أو بتعبير آخر يحمل "شخصية" بطل رواية، وعلى العكس فإنه يكشف حتى في ملامحه عن نمط محدد، هو في الحقيقة ممثل طبقة خلقية أو حقيقة اجتماعية.

3 – بطل الرواية العربية المعاصر في كثير من الزوايا بطل ملحمي، وهنا تبدو الرواية مرة أخرى غير متناسقة مع مثل هذا النهج الملحمي نظرا لاختلافها الشكلي والتقني.

4 – بروز النبرة الخطابية في الرواية مما يجعل المؤلفين يحلون محل الأصالة التقليدية لأبطال الرواية، جسدية كانت أو نفسية، أصالة من لون آخر، تنشأ من معطيات متغيرة لمنبع واحد هو الطائفة الاجتماعية أو الطبقة الأخلاقية أو الشعب فيبدو البطل انعكاسا لنمط عام.

ومما يمكننا إلحاقه بهذا الاهتمام بالرواية الاهتمام بجرجي زيدان والذين يكتبون الرواية التاريخية بهدف تشويه التاريخ الإسلامي وتحريفه. وقد كان اهتمام الاستشراق بجرجي حيث كان صديقاً لبعض هؤلاء المستشرقين مثل كرنيليوس فانديك أول رئيس للجامعة الأمريكية في بيروت، بالإضافة إلى صداقته لنولدكه وفلهاوزن ومارجليوث وجولدزيهر وغيرهم. فقد كانت بينه وبين هؤلاء مراسلات مستمرة، كما كانت دار الهلال مقراً للمستشرقين الزائرين لمصر. وعرف عن جرجي زيدان ارتباطه أيضاً بالمخابرات الإنجليزية، وعن رواياته يقول شوقي أبو خليل "يواجه تاريخنا العربي وأعلامه محاولة مدروسة دقيقة لتزييفه وإفساده، وتمييع قيمه ومثله، وهي محاولة لم نشهد أخطر من سمومها وطعناتها ودسائسها، كل ذلك في عرض روائي جذاب شيق هدفه طرح أرضية تاريخية وفكرة واسعة لإثارة الشبهات حول تاريخنا وتراثنا وآدابنا ورجالاتنا". فجرجي زيدان حسب المستشرقين يعد من أعمدة النهضة العربية المعاصرة. وفي استطلاع لإحدى الصحف العربية التي تصدر في الخارج كان السؤال عن أبرز الكتب التي كان لها تأثير كبير في القرن الماضي في العالم العربي فأجاب البعض بأن كتب جرجي زيدان من بين تلك الكتب التي أثرت تأثيراً كبيراً في النهضة الفكرية.

- **الاستشراق ونماذج من الأديبات والأدباء العرب.**

1- النساء الأديبات:

نالت المرأة الأديبة العربية اهتماماً واسعاً في الدراسات الاستشراقية وبخاصة تلك المرأة التي تأثرت بالفكر الغربي وتبنت قضايا معينة من مثل تحرير المرأة والعلاقة بين الرجل والمرأة وغيرها من القضايا.

فقد حصلت الباحثة الأمريكية مريام كوك على منحة من مؤسسة فلبرايت للسفر إلى سوريا للإعداد ندوة حول نساء سوريا فاختارت أن تجعل ندوتها عن الكاتبات السوريات وقد عقدت عدة حلقات للحديث مع الكاتبات السوريات، وقد قدمت معلومات عن بعض الكاتبات وبخاصة اللاتي أخذن بالقيم الغربية ودعون إلى ما يسمي 'تحرير المرأة' وقد بدأت بالحديث عن المنتديات الثقافية وأثرها في خروج المرأة السورية واختلاطها بالرجال وكان من هذه الحلقات:

- حلقة الزهراء بدأت عام 1942 وكانت أول حلقة تجمع بين الرجال والنساء وهي الحلقة التي ظهرت فيها الكاتبة ألفت الأدلبي سافرة.

- الجمعية الثقافية، تأسست أيضاً عام 1942 وكان لها لقاء كل يوم ثلاثاء.

- الصالون العربي بدأ في التسعينيات.

ومن الكاتبات السوريات اللاتي تحدثت عنهن:

أ- كوليت خوري، التي تصفها الباحثة الأمريكية بأنها "هزت العالم العربي حينذاك لصراحتها في الحديث عن المرأة والجنس".

ب- ملاحة الخاني، تكتب القصة القصيرة وهي الأخرى لم تخرج في كتاباتها عن الجنس.

جـ- هدى النعماني، شاعرة وفنّانة، تحدثت في قصيدة بعنوان (هدى...أنا الحق) عن علاقتها بإله وليس إله المسلمين ولكنه روح شخصية عميقة كونية.

د- ناديه خست، نشرت عدداً من المجموعات القصصية وهي قصص عاطفية تركز على وطنية المرأة وتلمح إلى قضاياها الجنسية.

وأعدّت المستشرقة البولندية باربرا ميخيلاك دراسة جادة هي رسالتها لنيل درجة الدكتوراه حول بعض الأديبات العربية، ومن صور اهتمام الاستشراق بنماذج من الأديبات العربيات ما تفعله الإذاعات الموجهة ومنها هيئة الإذاعة البريطانية فقد عرضت ذات مرة كتاباً لكاتبة أمريكية عنوانه (ثمن الشرف) وللتعليق على

الكتاب استضافت نوال السعداوي للحديث عن الكتاب. ومن الكتب التي عرضتها مجموعة قصص للدكتورة أهداف سويف، وكانت إحدى القصص تتهم أصحاب الاتجاه الإسلامي بمحاربة تعليم المرأة واضطهادها، ومن البديهي أن القصة أو الرواية لو كانت تقدم الإسلام تقديماً صحيحاً لما نالت اهتمام المشرفين على هذه الإذاعة أو سواها من وسائل الإعلام الغربية. ولا شك أن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى متابعة أكثر دقة.

2- الأدباء والنقاد العرب في الجامعات الغربية ومراكز البحوث:

ومن صور الاهتمام الاستشراقي بالأدب العربي المعاصر دعوة بعض رموز هذا الأدب الذين يروقونهم لإلقاء المحاضرات في المنتديات الأدبية في الغرب وللتدريس في الجامعات هناك، وفيما يأتي نماذج لهذا الاهتمام: مظفر النواب شاعر حداثي قدم قراءات من شعره بدعوة من النادي العربي البريطاني وقد استضافته إذاعة لندن على هامش هذه الدعوة. وألقى في الإذاعة بعض أشعاره بالفصحى والعامية، والطاهر وطار ألقى محاضرة في جامعة لندن نظمتها جمعية الدراسات الجزائرية التابعة لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن في يناير 1996م، وغيرهم أمثال عبد الرحمن منيف وطارق علي ومارون بغدادي ودريوش شايجان وإدوار الخراط.

3- الأدباء العرب وتأثرهم بالمستشرقين:

في عصرنا الحاضر هناك من الذين ضعف إيمانهم وانبهروا بالغرب وكتبوا في بلادهم ما خالف عقيدتها وقيمها ومبادئها ومسلماتها ما أن تأتيهم الدعوة من الغرب حتى يهرولوا إلى هناك، ومن هؤلاء الذين عرضت عليهم وظائف أستاذ زائر كل من كمال أبو ديب الذي أصبح يدرس الأدب العربي والنقد في جامعة لندن منذ عدة سنوات. وأبو ديب يقدم له التقرير السنوي لمركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط بجامعة لندن بأنه: درّس في عدة جامعات منها أكسفورد وجامعة بنسلفانيا، وجامعة بيركلي، وصنعاء، وكولمبيا بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن الأساتذة الزائرين أيضاً صبري حافظ بجامعة لندن وهو مهتم بانتقال الأفكار ودراسة التأثيرات المختلفة للكتاب الغربيين على تطور الأدب العربي الحديث وظهور أنواعه الجديدة. ومن مؤلفاته دراسة لعلم اجتماع الأدب العربي الحديث، كما شارك في كتاب عن القصة القصيرة والعامية المصرية. ويلاحظ هنا أن الأستاذ هنا مهتم ببيان مدى تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية، وهو ما يسر الغربيين عموماً أن يعلموه حتى يستمروا في النهج نفسه لاستمرار هذا التأثير. ويؤكد ذلك أيضاً اهتمامه بالعامية في القصة القصيرة.

كما دعت جامعة هارفارد الدكتور جابر أحمد عصفور لفصل الربيع عام 1995م لتدريس الأدب العربي الحديث والنقد الأدبي. والأستاذ، كما وصفه الكاتب الصحفي السعودي محمد صلاح الدين، من غلاة العلمانيين في مصر، وليس هذا فحسب، بل إنه يعمل في مركز حساس جداً وهو أمين عام المجلس الأعلى للثقافة والفنون وما يفتأ يدافع عن المنحرفين الذين يطعنون في الإسلام كما يقول محمد صلاح الدين "فليس كل ذلك إلاّ هدماً للإسلام يجعل المروق إبداعاً، والكفر الصريح اجتهاداً مأجوراً، والزندقة بحثاً علمياً فوق المساءلة وفوق القانون. وبعد ذلك فالذين ينالون الحظوة في الدراسات والاهتمام في الغرب في العصر الحاضر حسين أحمد أمين، وأميل حبيبي (الشيوعي الإسرائيلي) وطه حسين، وغسان كنفاني وجمال غيطاني ويوسف القعيد وإميل نصر الله وغيرهم كثير.

وخلاصة القول: لم يفوت المستشرقون فرصة القول بتفوق الغرب على العرب قوة وعلما في العصر الحاضر وهذا التفوق واقع لا كذب فيه، كما أنه يتضح عندما يتعلق الأمر بالأدب المعاصر، وعليه الدور الكبير الذي كان يجب أن يلعبه الأدب العربي المعاصر هو أن يسلك طريقا خاصا بالأمة العربية للتعبير عن نفسه بشكله وأسلوبه وغاياته.